الباب العشرون

في طلب أهل الجنة لها من ربِّهم وطلبها لهم وشفاعتِها فيهم إلى ربها عزَّ وجلَّ

قال [الله] تعالى حكايةً عن أولي الألباب من عباده قولهم : ﴿ ربَّنا إنَّنا سمِعنا مُنادياً ينادِي للإيمانِ أنْ آمِنُوا بِرَبِّكُم فآمَنا ، ربَّنا فأغفِرْ لنا ذُنوبَنا وكَفِّر عَنَّا سَيِّئاتِنا وتوفنا مع الأبْرارِ . رَبَّنا وآتِنا ما وعدتَنا على رُسُلِكَ ولا تخزِنَا يومَ القِيامةِ إنَّكَ لا تخلفُ الميعادَ ﴾ [آل عمران : ١٩٣ ـ ١٩٤] .

والمعنى : وآتنا ما وعدتنا على ألسنةِ رُسُلِكَ من دخول الجنة .

وقالت طائفة : معناه ، وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك ، وليس يسهل حذف الاسم والحرف معاً ، إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك . وحينئذ فيتكافأ التقديران ، ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم : ﴿ ربنا إنَّنا سمعنا منادياً ينادي للإيمانِ أنْ آمنوا بربكم فآمنا ﴾ [آل عمران : ١٩٣] . وهذا صريح في الإيمان بالرسول والمرسل، ثم توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم على ألسنة رسله ، فإنهم إنما سمعوا وعده لهم بذلك من الرسل، وذلك أيضاً يتضمن التصديق بهم ، وأنهم بلّغوهم وعده فصدقوا به ، وسألوه أن يؤتيهم إياه ، وهذا هو الذي ذكره السلف والخلف في الآية .

وقيل : المعنى آتنا ما وعدتنا من النصر والظفر على ألسنة الرسل . والأول أعمّ وأكمل .

وتأمل : كيف تضمن إيمانهم به الإيمان بأمره ونهيه ، ورسله ووعده ووعيده ، وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وصدق وعده ، والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره . فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم تعالى . فبذلك صحّ لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه .

وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم ما وعدهم[1]، مع أنه فاعل لذلك ولا بدَّ.

وأجاب: بأن هذا تعبّد محضٌ، كقوله: ﴿ رَبِّ احكمْ بالحقِّ ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، وقول الملائكة: ﴿فاغْفِرْ للَّذِين تابُوا واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧]، وخفي على هؤلاء أن الوعد معلق بشروط منها: الرغبة إليه سبحانه [وتعالى] وسؤاله أن ينجزه لهم، كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به. وأن لا يلحقه ما يحبطه. فإذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم، وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التي ينجز لهم بها وعده، كان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها، وهم أحوج إليه من كثير من الأدعية.

وأما قوله: ﴿ ربِّ احكمْ بالحقِّ ﴾، فهذا سؤال له سبحانه [وتعالى] أن ينصرَهم على أعدائهم، فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة.

وكذلك سؤال الملائكة ربّهم أن يغفر للتائبين، هو من الأسباب التي يوجب بها لهم المغفرة، فهو سبحانه نصب الأسباب التي يفعل بها ما يريده بأوليائه وأعدائه، وجعلها أسباباً لإرادته، كما جعلها أسباباً لوقوع مراده فمنه السبب والمسبب. وإن أشكل عليك ذلك، فانظر إلى خلقه الأسباب التي توجب محبته وغضبه، فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عبر الأسباب التي خلقها وشاءها، فالكل منه وبه، فهو مبتدأ من مشيئته وعائد إلى حكمته وحده. وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلجه إلا العالمون بالله. ونظير هذه الآية في سؤاله ما وعد به في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أذلكَ خيرٌ أَمْ جنةُ الخُلْدِ التي وُعِدَ المتقونَ، كانَتْ لهم جَزَاءً ومصيراً * لهم فيها ما يشاؤونَ خالدينَ كانَ على رَبِّكَ وعداً مسؤولاً ﴾ [الفرقان: ١٥ - ١٦]، يسأله إياه عباده المؤمنون، ويسأله إياه ملائكته لهم، فالجنة تسأل ربّها أهلها، وأهلها يسألونه إياها، والملائكة تسألها لهم، والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين، وفي هذا من تمام ملكه

(١) في هامش الأصل: وعده

وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطائه سئل ما ما هو من لوازم أسمائه وصفاته ، واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها ، فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها ، فالرب تعالى جواد له الجود كله ، يحب أن يسأل ويطلب منه ويرغب إليه ، فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه فهو خالق السائل وسؤاله ومسؤوله ، وذلك لمحبته لسؤال عباده له ، ورغبتهم إليه ، وطلبهم منه ، وهو يغضب إذا لم يسئل[1] .

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً ، وهو يحب الملحين في الدعاء ، وكلّما ألحّ العبد عليه في السؤال أحبه وقربه وأعطاه .

وفي الحديث: «مَنْ لم يسألِ الله يَغْضَبْ عليهِ»[2] فلا إله إلا الله[3]، أي جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمان ، وحالتَ بين القلوب وبين معرفة ربِّها وأسمائه ، وصفات كماله ونعوت جلاله و﴿ **الحمدُ لله الَّذي هَدَانا لِهَذا ومَا كُنَّا لنَهْتَدي لولا أنْ هَدَانا الله** ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

قال أبو نعيم الفضل : حدثنا يونس، هو ابن أبي إسحاق ، حدثنا بُرَيْد ابن أبي مريم قال : قال أنس بن مالك : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلمٍ يسألُ اللهَ الجنةَ ثلاثاً إلا قالت الجنةُ : اللَّهم أدخلهُ الجنةَ ، ومن استجار بالله من النارِ ثلاثاً قالتْ النارُ : اللَّهُم أجرهُ من النارِ »[4] رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن

---

(١) وفي هذا المعنى قال الشاعر :

لا تسألنّ بُنيّ آدم حاجةً ... وسَلِ الذي أبوابه لا تحجبُ
الله يغضبُ إنْ تركتَ سؤاله ... وبنيّ آدم حين يُسألُ يغضَبُ

(٢) حديث حسن أخرجه ـ البخاري في « الأدب المفرد » (٦٥٨) ، والترمذي (٣٣٧٣) في الدعاء : باب (٢)، وابن ماجه (٣٨٢٧) في الدعاء : باب (١) كلهم بألفاظ متقاربة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) في هامش الأصل : هو

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٧٢) في صفة الجنة : باب (٢٧) وقال : هكذا روى يونس، عن أبي إسحاق هذا الحديث ، عن بُريد بن أبي مريم، عن أنس عن النبي ﷺ نحوه، والنسائي (٥٥٢١) في الاستعاذة : باب (٥٦)، وابن ماجه (٤٣٤٠) في الزهد : باب صفة الجنة، وابن حبّان (٢٤٢٢) في « الموارد » .

ماجه،عن هناد بن السري، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن بُرَيْد به .

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن يونس بن خباب ،عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما سأل الله عبدٌ الجنة في يوم ٍ سبعَ مراتٍ إلا قالتْ الجنةُ : يا ربِّ إنَّ عبدكَ فلاناً سألني فأدخله الجنة »(١) .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب، حدثنا جرير ، عن يونس، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « ما استجارَ عبدٌ من النارِ سَبْعَ مَرَاتٍ إلا قالت النارُ : يا ربِّ إنَّ عبدكَ فلاناً استجارَ مني فأجْرهُ ، ولا يسألُ عبدُ الجنةَ سبعَ مراتٍ إلا قالت الجنةُ : يا ربِّ إنَّ عبْدَكَ فلاناً سألني فأدخلْهُ الجنةَ »(٢) ، وإسناده على شرط الصحيحين .

وقال أبو داود في « مسنده » : حدثنا شعبة : حدثني يونس بن خباب : سمع أبا علقمة عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : أسأل اللهَ الجنةَ سبعاً ، قالتِ الجنةُ : اللَّهم أدخلْه الجنةَ »(٣) .

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا المقدمي حدثنا عُمير بن علي ، عن يحيى بن عبيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « أكثرُوا مسألةَ اللهِ الجنةَ واستعيذُوا به من النارِ ؛ فإنهما شافعتانِ مشفعتانِ ، وإنَّ العبدَ إذا أكثرَ مسألةَ اللهِ الجنةَ قالتِ الجنةُ : يا ربِّ عبدُك هذا الذي سألنيكَ فأسكنْهُ إيايَّ . وتقولُ النارُ : يا ربِّ عبدُكَ هذا الذي استعاذَ بكَ مني فأعذْهُ»(٤).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٦٨)وأورده ابن كثير في «النهاية» ٢/٥٠٠. وهو حديث ضعيف.

(٢) أورده ابن كثير في « النهاية » ٢/٥٠٠ ، وقال : على شرط مسلم .

(٣) أخرجه الطيالسي (٢٥٧٩) وتمامه : « ومن استعاذ من النار سبعاً قالت النار اللهم أعذه من النار » .

(٤) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٧٠)، وأخرج الديلمي نحوه في «الفردوس» (٢١٣) وفيه «أكثر مسألة الله الجنة، والاستعاذة به من النار فإنهما شافعتان مشفعتان».

وقد كان جماعة من السلف لا يسألون الله الجنةَ ويقولون : حسبنا أن يجيرنا من النار.

فمنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم صلّى ليلة إلى السحر، ثم رفع يديه وقال: اللّهم أجرني من النار: أو مثلي يجتريء [أن] يسألك الجنة؟

ومنهم عطاء السلمي، كان لا يسأل الجنة، فقال له صالحِ المري: إن أبان حدثني عن أنس أن النبي ﷺ قال : « يقولُ الله عزَّ وجلَّ : انظرُوا في ديوانِ عبدي ، فمنْ رأيتمُوه سألني الجنةَ أعطيتُهُ ، ومنْ استعاذني من النار أعذْتَه»(1) فقال عطاء : كفاني أن يجيرني من النار ، ذكرها أبو نُعيم.

وقد روى أبو داود في « سننه » من حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم ، أن النبيَّ ﷺ قال للفتى - يعني الذي شكاه - « كيفَ تصنعُ يا ابن أخي إذا صليتَ ؟ قال : أقرأُ بفاتحةِ الكتابِ وأسألُ اللهَ الجنةَ وأعوذُ به من النارِ ، وإني لا أدري ما دندنتُكَ ودندنَةَ معاذٍ ؟ فقال النبي ﷺ : إني ومعاذاً حولها ندندنُ »(2) .

وفي « سنن » أبي داود من حديث محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يسألُ بوجهِ اللهِ إلا الجنةَ »(3) رواه عن أحمد بن عمرو العصفري ، حدثنا يعقوب بن إسحاق، حدثنا سليمان بن معاذ ، عن محمد، فذكره .

---

(1) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ٦/١٧٥ - ١٧٦، و٢٢٦ وقال : غريب من حديث صالح لم نكتبه إلا من حديث إسماعيل بن نصر، وأخرجه في «صفة الجنة» (١٧).

(2) أخرجه أبو داود (٧٩٣) في الصلاة : باب (١٢٧) في التخفيف في الصلاة ، وله شاهد عند أحمد ٤٧٤/٣ عن بعض اصحاب النبي ﷺ، وابن ماجة (٩١٠) في إقامة الصلاة : باب (٢٦) ما يقال في التشهد . . وقال في « الزوائد » : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .
قال الخطابي الدندنة : قراءة مبهمة غير مفهومة .

(3) أخرجه أبو داود في « سننه » (١٦٧٢) في الزكاة : باب (٣٧) كراهية المسألة بوجه الله تعالى ، والديلمي في «الفردوس» (٧٩٨٦)، والسخاوي في « المقاصد الحسنة » (١٣٢٣) وقال : والظاهر أن النهي فيه للتنزيه، ولا يمنع استحباب الإجابة لمن سئل به .

وقد تقدم في أول الكتاب حديث الليث، عن معاوية بن صالح، عن عبد الملك بن أبي بشير يرفع الحديث: « ما من يومٍ إلا والجنةُ والنارُ تسألانِ. تقولُ الجنةُ: يا ربِّ قد طابتْ ثماري، واطردتْ أنهاري، واشتقتُ إلى أوليائي، فعجلْ إليَّ بأهلي »[1] الحديث.

فالجنة تطلب أهلها بالذات، وتجذبهم إليها جذباً، والنار كذلك، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نزال نذكرهما ولا ننساهما.

كما روى أبو يعلى الموصلي في « مسنده »: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، حدثنا أيوب بن شبيب الصنعاني قال: كان فيما عرضنا على رباح بن زيد، حدثني عبد الله بن تجِير[2] سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول: سمعت عبدالله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا تنسُوا العظيمتين» قلنا: وما العظيمتانِ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «الجنةُ والنارُ»[3].

وذكر أبو بكر الشافعي من حديث كليب بن حزن قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اطلبُوا الجنةَ جُهدكُم، واهربُوا من النارِ جهدَكُم، فإنَّ الجنةَ لا ينامُ طالبُها، وإنَّ النارَ لا ينامُ هاربُها، وإن الآخرةَ اليومَ محفوفةٌ بالمكاره، وإن الدنيا محفوفةٌ باللذاتِ والشهواتِ، فلا تلهينَّكم عنِ الآخرة »[4].

---

(١) سبق تخريجه ص ٤٦ ت(٣).

(٢) في الأصل: نمير، والتصويب من «التقريب».

(٣) أخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » ١/٤١٧، ولفظه: « لا تنسوا العظيمين. الجنة والنار»، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٦٦).

(٤) أورده ابن كثير في « النهاية » ٢/٥٠٢.